

المقاومة في شعر جمعية العلماء المسلمين

حوادث 08 ماي 1945 في قصائد محمد العيد آل خليفة أنموذجا

د/ سليمة عقوني

جامعة الشاذلي بن جديد الطرف

agounisalima@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2026/08/16 ؛ تاريخ القبول: 2026/09/06

Abstract: The Association of Muslim Scholars was concerned with science, knowledge, and spreading Arab-Islamic culture in Algerian circles. It made poetry one of its means of expressing this. Among its poets, we find Muhammad al-Eid Al Khalifa, who presented a collection of poems in which he spoke about the enemy and the means of advancing the Algerian nation. Among the crimes he spoke about were the events of May 8, 1945, which he used as a means of spreading resistance among the Algerians.

Keywords: poetry, Association of Muslim Scholars, events of May 8, 1945, Muhammad al-Eid Al Khalifa.

المخلص:

اهتمت جمعية العلماء المسلمين بالعلم، و المعرفة، و نشر الثقافة العربية الإسلامية في الأوساط الجزائرية، و قد جعلت الشعر إحدى وسائلها للتعبير عن ذلك، و من بين شعرائها نجد محمد العيد آل خليفة الذي قدّم ديوانا شعريا تحدّث فيه عن العدو و وسائل النهوض بالامة الجزائرية، و من بين الجرائم التي تحدث عنها نجد حوادث 08 ماي 1945 التي جعل منها وسيلة لبث المقاومة في صفوف الجزائريين.

الكلمات المفتاحية : الشعر ، جمعية العلماء المسلمين ، حوادث 08 ماي 1945 ، محمد العيد آل خليفة.

تمهيد:

تحفل الجزائر بالعديد من الصفحات التي ضمّتها تاريخها، و من هذه الصفحات ما يحمل البطولة و القوة و العزة ،و منها ما يحمل للأسى أصنافا حطّمت آمال الجزائريين ،و كبلت قواهم فلم يجدوا سبيلا و ملاذا يختبئون وراءه سوى الكلمات عساها تلمم جروحهم و من بين هذه المأسى نجد حوّدث 08 ماي 1945 التي أسالت حبر الجزائريين و دفعتهم للالتامام من أجل تضميد جروحهم، و السير نحو مستقبل أفضل.

و يعد محمد العيد آل خليفة أحد الشعراء البارزين في جمعية العلماء المسلمين الذين اعتنوا بالحديث عن مجازر 08 ماي 1945 فضمّهما ديوانه الشعري و جعل منه أداة للتعبير عن صورة الجزائري في تلك الفترة التي قاسى فيها الويل من عدوه الفرنسي الذي سلب عزيمته. و بهذا نتساءل كيف كانت المقاومة في شعر محمد العيد آل خليفة؟ و كيف صور حوادث 08 ماي 1945 ؟

أولا: المقاومة: المقاومة في اللغة تعني استخدام الوسائل المادية للدخول في ميدان الحرب، و قد عرّفها صاحب لسان العرب بأنها "المصارعة و غيرها" (أبو الفضل جمال الدين، بيروت، دار صادر، 1990،ص499)

و المقاومة في معناها العام تعني "اعتراض، و رد الهجوم، و ذلك لصد العدوان أو الغزو أو الحفاظ عن الهوية في مواجهة الغزو الثقافي" (Claude Lianzu, , édition cnrs, paris ,1992 p28)

كما يمكن اعتبارها "الفعل الصادر عن مجموعة الشعوب والقبائل التي انتهكت حدودها و ترابها من طرف الغزاة الدخلاء" مجلة البحث العلمي، ع47، الرابط 2001، ص (147)

تتخذ المقاومة أشكالا متعددة كحمل السلاح لصد العدو ، و المفاوضات ، و أيضا التعبير عن طريق الكتابة كالشعر و النثر و المسرح و القصة ، و غيرها من أشكال التعبير، لهذا فهي تحمل معنى سياسي في وقوفها ضد الظلم.

ثانيا: جمعية العلماء المسلمين: عرّفها البشير الإبراهيمي قائلا: "جمعية علمية دينية تهذيبية، تعلّم ، و تدعو إلى العلم، و ترغب فيه، و تعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علمية واضحة" (أحمد طالب الإبراهيمي ،لبنان، دار الغرب الإسلامي، ص199)

تسعى جمعية العلماء المسلمين إلى تعليم الدين و اللغة العربية، كما تدعو إلى مكارم الأخلاق و محاربة الرذائل الاجتماعية، لهذا فقد سلكت الطريق الواضح في الدعوة إلى الخير، و الصلاح و الإرشاد.

بدأت اللقاءات الأولى لإنشاء جمعية العلماء المسلمين باجتماعات ضمّت عبد الحميد بن باديس، و البشير الإبراهيمي إثر إقامته بالمدينة المنورة؛ حيث نادى عبد الحميد بن باديس من منبر الشهاب سنة1925إلى ضرورة تشكيل حزب إسلامي إصلاحي يعمل على

تطهير الدين، و محو الخرافات و البدع و الضلالات و العودة إلى أصول الدين الإسلامي و السنة النبوية الشريفة.

عبر العديد من المفكرين عن رغبتهم الملحة في التخلص من الاستعمار؛ فقد قال ابن باديس في هذا الصدد: "هلموا إلى التعارف و الاتحاد بتأسيس حزب ديني محض غايته تطهير الدين مما ألصقه به الجاهلون من الخرافات و الأوهام" (مراد علي، الجزائر، دار الحكمة، 2000، ص134)

يرى ابن باديس أنّ الضعف الديني راجع إلى تقصير العلماء في الدعوة للحفاظ على تعاليم دينهم، كما دعا البشير الإبراهيمي إلى الحفاظ على تعاليم الدين، و اللغة العربية مناديا بقيمة جمعية العلماء المسلمين.

لقد كانت جمعية العلماء المسلمين مساندة للشعب الفلسطيني؛ حيث نشأت اثر التحضير لمؤتمر إسلامي تم عقده بالقدس، و قد كان هدفه توحيد المسلمين، لهذا فقد جاءت محاربة للجهل، و الذوبان في ثقافة الأخر مناصرة و للصحافة الجزائرية.

ثالثا: مبادئ جمعية العلماء المسلمين و أهدافها:

تهتم جمعية العلماء المسلمين باللغة العربية و تولي لها اهتماما بارزا؛ "و ذلك بتقديم لفظة العروبة على لفظ الإسلام، باعتبار اللغة العربية هي لغة القرآن الكريم، و بالتالي هي لغة الإسلام" (تركي رابح، عنابة، مجلة بونه للدراسات، ع2، نوفمبر 2004، ص.11)

جعلت جمعية العلماء المسلمين شعارها: "الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا"، و قد كانت جريدة "البصائر" هي لسان حال الجمعية؛ حيث كانت تقدّم لفظ اللغة العربية على الإسلام؛ و قد عبّر عبد الحميد بن باديس عن ذلك قائلا: "العروبة، الإسلام، الفضيلة هي أركان نهضتنا" (البصائر، ع2 أوت 1947، ص 1)

فهي تهتم بالأخلاق الإسلامية؛ حيث أشار إلى ذلك البشير الإبراهيمي قائلا: "إنّ جمعية العلماء المسلمين تعمل للإسلام بإصلاح عقائده، و تفهيم حقائقه، و إحياء أداية و تاريخه، و تطالب بحرية التعليم العربي" (البصائر، ع83، 30 سبتمبر، 1937، ص 1)

فقد دافعت عن الذات الجزائرية كما عملت على إحياء اللغة العربية، و توحيد كلمة المسلمين.

لقد جاء في الفصل الرابع من القانون لجمعية العلماء المسلمين بأنّ القصد منها هو "نشر الدين الإسلامي على وجهه الصحيح، و الابتعاد عن كل البدع، و محاربة ما يحرمه صريح الشرع كالخمر و الميسر و الآفات الاجتماعية" (القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة، ص1)

لهذا فقد كانت تهتم بالجانب الاجتماعي بالإضافة إلى اهتمامها بالجانب الأخلاقي والديني.

يقول عبد الحميد بن باديس: "القران إمامنا، و السنة سبيلنا، و السلف الصالح قوتنا، و خدمة الخير و إيصاله لجميع سكان الجزائر غايتنا" (مراد علي، الجزائر، دار الحكمة، 2000، ص98)

و لهذا فان الهدف الأساسي لجمعية العلماء المسلمين هو تنقية الدين من جميع الشوائب التي أدخلتها عليه السلطات الاستعمارية، و بهذا يكون تحرير العقل الإسلامي من أغلال الجهل، و قد استطاعت الوصول إلى ذلك بفضل حنكته، و موقفها من الاستعمار، و قدرتها على مواجهة جميع أساليبه، معتمدة على المساجد و المدارس و النوادي بهدف نشر الأخلاق الفاضلة.

أما عن نتائج جمعية العلماء المسلمين فتتمثل في أنها قد أنتجت جيلا يؤمن بدينه، لهذا فقد عملت على إحيائه، كما اهتمت بالاجتهاد في الدين إيمانا منها على أنه ضرورة لمواكبة تطورات العصر و المكان.

أما في الميدان الاجتماعي فقد قضت على العديد من الآفات الاجتماعية كالزنا و شرب الخمر، فاستطاعت أن تحفظ المجتمع من الانحلال الخلقي، كما قضت على البطالة.

عملت جمعية العلماء المسلمين على تصحيح مفهوم السياسة و تجديد أركانها، و أهم شروطها، هذا بالإضافة إلى بعثها للاقتصاد، و تحريرها من المستعمرين من خلال تكوين مؤسسات اقتصادية، كما ساهمت في بناء المساجد و المدارس و النوادي.

اهتمت الجمعية بالجانب التعليمي " فكانت أعمالها المطبوعة بطابع تربوي تثقيفي مدخلا إلى موقف سياسي "(سلمان نور، بيروت، دار العلم للملايين، ص 130)

و ذلك لما للتعليم من قيمة في تنمية أفكار الفرد و المجتمع، كما عملت على "إثارة النخوة الوطنية و العزة القومية و تنمية الوعي

الديني و الاجتماعي"(رمضان محمد الصالح،مجلة الثقافة، وزارة
الثقافة والسياحة،الجزائر،ع83،أكتوبر 1983،ص359)

رابعاً: المقاومة في شعر محمد العيد آل خليفة:

نشأ محمد العيد آل خليفة على مبادئ الصوفية؛ فأسرته : "تنحدر
من القبيلة العربية المحاميد التي سكنت في ليبيا في العهد
الفاطمي"(ابن سمية محمد ،ديوان المطبوعات
الجامعية،1998،ص07)

تابع دراسته على يد المشايخ علي بن إبراهيم العقبي و سعد الله أبو
القاسم، و أحمد مكي، كانت لأعماله صدى واسع في الجرائد و
الصحف؛ "فعرفته صدى الصحراء و المنتقد و الشهاب لعبد الحميد
ابن باديس". (دوغان أحمد ،الجزائر، المؤسسة الوطنية
للكتاب،1989،ص 18)

عاش يناضل بإيمان واثق بالانتصار لنفسه على الحياة القاسية و
لشعبه على الاستعمار و الاضطهاد

فهو كغيره من " أولئك الأبطال الرجال صفحات مجيدة وضاءة
مشرقة يحق لجيل الاستقلال أن يعتز بها مرفوع الرأس" (الطاهر
يحياوي ،الجزائر، مطبعة أمزيان ،1984،ص41)

هيمنت المقاومة و الحث على الوطنية ديوانه الشعري ،"و تمتد مادة
هذا الشعر المستترك على مساحة زمنية توشك أن تغطي جميع
مراحل حياة الشاعر" (ابن سمية، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون
المطبعة،2003.ص 20)

ساهمت في تكوين شخصية الشاعر العديد من المؤثرات منها ما هو ثقافي فقد حمل على عاتقه لواء النهوض بالأمة الجزائرية و الإسلامية؛ فقد "تسلط على الأمة الجزائرية عوامل ثلاثة لو تسلط عامل واحد منها على أمة كبيرة لزعزع ركنها و هـد بناءها ألا و هي: الجهل الفقر الفرقة" (أبو اليقضان ،قسنطينة، دار البعث، 2001، ص27)

لهذا فقد رأى أن الحاجة ملحة للنهوض بهذه الأمة من ظلمات الجهل ،كما جعل شعره وسيلة " لتقوية الإحساس بالوحدة الوطنية ،و بغض الاضطهاد بطل ألوانه". (بن زروق نصر الدين ،رسالة ماجستير، الجزائر، 1995، ص20)

هذا لأنه قد أمن بأن " التغيير البسيط ستتلوه تغييرات جذرية" (مالك ابن نبي ،بيروت، دار الفكر، ص82)

جعل محمد العيد آل خليفة شعره وسيلة لقطع الصلة بين الجزائر و فرنسا ذلك لأن: "هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت". (الشهاب، أفريل، 1936، ص109)

هذه من أساسيات المقاومة في شعره و هو الوقوف في وجه كل من يريد أن يجعل الجزائر قطعة فرنسية لأن هذا "يكاد يفقدهم كل إحساس بالشخصية و الذاتية" (عثمان الكعاك ، موجز التاريخ العام ،المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984، ص299)

لقد كانت حالة التعليم في القطر الجزائري سيئة جدا" و لو استمر الحال على هذا المنوال لحلت الفرنسية بدل العربية في جميع المعاملات"(الشهاب، مارس، 1934، ص58)

لهذا فقد تأخر القطر الجزائري عن إخوانه في سائر الأقطار العربية في ميدان الأدب و لا سيما في الشعر" و لعله بعد الآن سيعوض الفرق بل يسبق غيره بمحمد العيد آل خليفة"(الديوان، الجزائر، دار الهدى.ص20)

و بهذا فقد كانت مسؤوليته هي النهوض بالأدب و الشعر من جهة و من جهة أخرى الحث على المقاومة و التصدي للعدو.

و قد تمكن من ذلك بواسطة "أدوات التعبير الشعرية و الصدق في القول و الإيمان العميق بوحدة أمته العربية السلامية" (عمر بن قينة ،ديوان المطبوعات الجامعية، 1995، ص65)

لهذا فقد "كان صوتا متميزا في التعبير عن الحركة الإصلاحية، و أهدافها ،و سياستها"(الطاهر يحيوي ، الجزائر، شركة الشهاب، 1990، ص64)

حوادث 08 ماي 1945 في شعر محمد العيد آل خليفة:

تفاعل الشعراء مع حوادث 08 ماي 1945؛ و ذلك لما لها من تأثير على نفوس الجزائريين، و محمد العيد آل خليفة هو الآخر قد تفاعل مع هذه الحوادث مثله مثل شعراء الحركة الإصلاحية؛ "تلك الطبقة التي كانت منابرها المنتقد، و جرائد أخرى تتساقط في ميدان الكفاح"(بوكوشة حمزة، ع85، 04، جويلية، 1949، ص8)

لقد كانت الصحافة منبر جمعية العلماء المسلمين في قول الشعر و إلقاء الخطب التي تحرك النفوس نحو مواجهة العدو و التصدي له.

تأثر محمد العيد آل خليفة بحوادث 08 ماي 1945؛ "فهو الذي يشعر بشعور أمته، و يتألم بالآلامها، يوحد أماله بآمالها، و يخلد شعره بتخليد أحداثها في سجل الخلود" (بوكوشة حمزة، ع85،04 جويلية، 1949، ص9)

جعل محمد العيد آل خليفة من الشعر أداة للتعبير عن ماسي هذه الحوادث فضمنه العديد من الجوانب التي عاشها الجزائريون في تلك الفترة خاصة الشعور بالمأساة؛ فقد "مرت على الجزائر أحداث جسام كحادثة قالمة و سطيف، و كم من حوادث قبلها فاهتز لها العالم" (بوكوشة حمزة، ع85،04 جويلية، 1949، ص9)

على الرغم من إن هذه المأساة هزت كيان الشعب الجزائري و أيقظته من غفلته، و هزت العالم أجمع، "إلا أننا لم نجد قصائد كثيرة تشيد ببطولة الشعب الجزائري، أو حتى تسجل هذا الحدث البارز" (تاورته محمد العيد، مجلة الآداب، ع8، جامعة قسنطينة، 2005، ص187)

قد يكون سبب هذا السكوت هو بشاعة المجازر، و عدم قدرة الشعور المرهف للشعراء في نقل هذه الحوادث.

فهذه الحوادث تحمل صورة "قائمة خانقة فقد انسحب الشعر في أهواله الرهيبة و أصيب بالذهول" (تاورته محمد العيد، مجلة الآداب، ع8، جامعة قسنطينة، 2005، ص182)

لهذا كان لزاما على الشعب الجزائري " أن ينتظر سنوات حتى يللم شمل الذاكرة" (حمادي عبد الله، قسنطينة، دار البعث، 2001ص216)

و لكن رغم هذا كله فقد حركت المأساة قرائح الشعراء، فجاهروا في شعرهم بنقمتهم و بدعوتهم إلى الكفاح من أجل الحرية و الاستقلال "فتحوّل الشعر مع الحركة الوطنية من موقف الرفض و الدفاع إلى الدعوة للهجوم و الحرب"(سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، ص319)

حاول الشعراء استيعاب الصدمة و التحول بها إلى منأى آخر هو الدعوة إلى استلهم الهمم و النهوض بها نحو الوقوف في وجه العدو يقول في قصيدة لا أنسى:

أ أكتم وجدي أم أهدي إحساسي و ثامن ماي جرحه ماله أسي
و أرقب ممن أحدثوه ضماده و هم في جماع لم يميلوا إلا سلاس
تمر الليالي و هو يدمي فلم نجد به مرهما سوى العنف و البأس
ثم يصف فضائع الاستعمار الفرنسي قائلا:

فضائع ماي كذّبت كل مزعم لهم و رمت ما رجوه بإفلاس
يرى محمد العيد آل خليفة أنّ الحل الوحيد في نظره ليس تعداد الجرائم و إنما هو تحضير الوسائل المادية و لمعنوية للحرب فيقول:
و لا خير في عد المظالم وحدها إذا لم تبين عن مرهفات و أتراس

فبعد الحرب العالمية الثانية، و بعد واقعة 08 ماي الرهيبة بدأ الشاعر
عهدا جديدا في الحكم على السياسة" فلم يعد شعاره الهدوء، و الرفق ،
الحذر ،و الاتعاض بل أصبح شعاره:

حياتك حرب للضعيف فكن بها قويا أبيا أن تذلل و تخضعا"

حث محمد العيد آل خليفة على استنهاض الهمم قائلا:

حثوا العزائم و صدقوا الأمالا إن الزمان يسجل الأعمالا

يا قوم هبوا باغتنام حياتكم فالعمر ساعات تمر عجالا

و القصيدة تحمل جوا من التفاؤل للاستقلال؛ اذ يقول:

إذا أراد الشعب نال مراده و لو أنه كالنجم عز منالا (الديوان،
الجزائر، دار الهدى ص339)

و لعل محمد العيد آل خليفة أول من صرح بالاستقلال، و الحرية، و
العلم الوطني من بين إخوانه الشعراء؛

" و ذلك أن الشعراء الجزائريين — هو منهم- كانوا يختبئون و راء
الكلمات و لا يصرحون بما يودون" (الديوان الجزائر، دار الهدى
ص340)

خاتمة:

على الرغم من قسوة جرائم 08 ماي 0945 إلا أنها كانت الملهم للعديد من الأدباء و من بينهم محمد العيد آل خليفة الذي كانت المقاومة حاضرة في شعره بصورة قوية؛ فعبر من خلاله عن جرائم العدو، و السعي بالجزائريين نحو مجتمع أفضل تسوده الحرية و تمحى فيه الاهانة، و الجهل، و المس بالكرامة.

قائمة المصادر و المراجع:

المصادر:

- (1)- أبو الفضل جمال الدين، ت: عبد الله الكبير، م12، بيروت، دار صادر، 1990 .
- (2)- الإمام محمد البشير الإبراهيمي ت: أحمد طالب الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ط1، لبنان، دار الغرب الإسلامي.
- (3)- محمد العيد آل خليفة، الديوان، الجزائر، دار الهدى.

المراجع:

- (1)- ابن سمية محمد، محمد العيد آل خليفة دراسة تحليلية لحياته، ديوان المطبوعات الجامعية، 1998.
- (2)- ابن سمية، العيديات المجهولة، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، 2003.

(3)- الطاهر يحيوي، شعراء و ملامح، الجزائر، مطبعة أمزيان، ط1، 1984.

(4)- الطاهر يحيوي، أحاديث في الأدب و النقد، الجزائر، شركة الشهاب، 1990.

(5)-حمادي عبد الله، أصوات من الأدب الجزائري، قسنطينة، دار البعث، 2001.

(6)- دوغان أحمد، شخصيات من الأدب الجزائري المعاصر، الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1989.

(7)- سعد الله أبو القاسم، محمد العيد رائد الشعر الجزائري في العصر الحديث، مصر، دار المعارف.

(8)- سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير، بيروت، دار العلم للملايين.

(09)- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

(10)- مالك ابن نبي، مذكرات شاهد للقرن، بيروت، دار الفكر.

(11)- الطاهر يحيوي، أحاديث في الأدب و النقد، الجزائر، شركة الشهاب، 1990.

(12)- مراد علي، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 الى 1940، الجزائر، دار الحكمة، 2000.

الجرائد و المجلات:

(1)- أبو اليقضان، جريدة وادي ميزاب، قسنطينة، دار البعث، 2001.

(2)- القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين، المطبعة الجزائرية الإسلامية، قسنطينة.

(3)- الشهاب، مارس، 1934، نقلا عن سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض و التحرير.

(4)- الشهاب، أبريل، 1936، نقلا عن صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث.

(5)- بوكوشة حمزة، هل في الجزائر شعراء، جريدة البصائر، ع85، 04 جويلية، 1949.

(6)- تركي رابح، التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عنابة، مجلة بونه للدراسات، ع2، نوفمبر 2004.

(7)- رمضان محمد الصالح، جمعية العلماء المسلمين و دورها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة و السياحة، الجزائر، ع83، أكتوبر 1983.

(8)- محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، ع83، 30 سبتمبر، 1937.

(9)- محمد البشير الإبراهيمي، البصائر، ع2، أوت 1947.

(10)- محمد العيد تاورتة، صدى أحداث 08 ماي 1945 في الأدب الجزائري المعاصر، مجلة الآداب، ع8، جامعة قسنطينة، 2005.

(11)- مجلة البحث العلمي، ع47، الرباط 2001 .

رسالة ماجستير:

(19)- بن زروق نصر الدين، الأسلوب في شعر محمد العيد آل خليفة، رسالة ماجستير، الجزائر، 1995.

المراجع الأجنبية:

(1)- Claude Lianzu, Resistances et cultures enjeux de savoirs in pratiques et resistances culturelles au Maghreb, édition cnrs, paris ,1992.